فصل تمهيدي

مصطلحات ومفاهيم أساسية

تمهيد

يشتمل هذا الكتاب على عدد من المصطلحات والمفاهيم، والتي تتطلب (قبل الدخول في محتوى الكتاب) توضيحًا وتعريفا إجرائيا لها وفق ما استخدمت ووظفت في مجالها الموضوعي، وذلك بغية إزالة الغموض الذي قد يكتنفها، وحتى تكون وافية بالغرض منها:

١ـ الأرشيف الصوتي:

الأرشيف الصوتي كما هو واضح من مسماه يتكون من كلمتين أو شقين، الشق الأول الأرشيف، وهو أكثر الكلمات شيوعًا في الاستخدام العام، وكذلك يستخدمها المتخصصون في مجال الوثائق والمعلومات، وبقدر ما تحظي هذه الكلمة من انتشار بقدر ما يحيط بها من غموض يصل أحيانًا إلى حد الإبهام، فهناك مفاهيم كثيرة متباينة عن معنى الكلمة، أم الشق الثاني الصوت الذي يحدد طبيعة الشق الأول ومجالاته ودلالته.

ومن هنا يجب الوقوف على كل كلمة من الكلمتين السابقتين للخروج بمفهومين واضحين، ومن ثم تقديم مفهوم إجرائي للأرشيف الصوتي حسبما نستخدمه هنا، وذلك كما يلي:ـ

الشق الأول "الأرشيف":

إذا أمعنا النظر في الكتابات والآراء التي قدمها المتخصصين لتعريف الأرشيف، وتحديد ماهيته وطبيعته، نستطيع أن نتبين منها ثلاثة اتجاهات رئيسية، هذه الاتجاهات انطلقت من وجهة نظر أعمار الوثيقة، أو من حيث مراحل استخدام الوثيقة، فمن المعروف أن للوثيقة ثلاث مراحل عمرية؛ هي:ـ

- **المرحلة الجارية:** والتي تطلق على الوثائق بصرف النظر عن شكلها المادي أو

خصائصها التي تنتجها وتتلقاها جهة ما أثناء أداء عملها، وتظل متداولة فيها نتيجة لحاجة العمل، ويتم الاحتفاظ بها في مكاتب الجهة التي أنتجتها، والوثائق في هذه المرحلة تسمي الوثائق الجارية أو الإدارية.

- **المرحلة نصف جارية (المؤقتة)**: وهي الوثائق التي فقد استخدامها في الحياة اليومية، ولكن يرجع مؤقتًا إليها في بعض المسائل الإدارية وغيرها، ومن ثم تحفظ حفظًامؤقتًا في غرف حفظ عامة لدي الكيان الأم الذي أنتجها إلى أن يتم تقرير مصيرهاإما باستهلاكها أو بتحويلها إلى الحفظ الدائم، والوثائق في هذه المرحلة تعرف باسم "المحفوظات"[(١)].

- **المرحلة الهامدة (الحفظ الدائم)**: وهي الوثائق التي فقدت كل استخدام لها في الحياة اليومية سواء جارية أو مؤقتة، وحفظت بالشكل الطبيعي الذي تجمعت به حفظًا دائمًا تاريخيًا من أجل مالها من قيم بحثية، وتسمي الوثائق في هذه المرحلة بالوثائق التاريخية.

ومن ثم يمثل الاتجاه الأول لتعريف الأرشيف "المرحلة الجارية"؛ حيث يرى أن الأرشيف هو: "مجموعات منظمة من المستندات، تشمل الأوراق، والخرائط، والتسجيلات الصوتية، وأي مواد تسجيلية أخرى أنتجت أو وردت طبقًا للقانون مصاحبة لأداء العمل، وحفظت بسبب قيمتها الحالية"[(٢)]. أما الاتجاه الثاني في تحديد ماهية الأرشيف فيمثل المرحلة المؤقتة للوثائق؛ حيث يرى أن الأرشيف هو: "النقطة التي يتوقف عندها الاستعمال الجاري، وتوضع الوثائق جانبًا بصفة قاطعة تمهيدًا للحفظ، ويحكم عليها ضمنًا باستحقاقها للبقاء"[(٣)]. والاتجاه الثالث والأخير في تعريف طبيعة الأرشيف يمثل المرحلة الهامدة للوثائق؛ حيث يرى أن الأرشيف هومجموعة الوثائق التاريخية التي اتضحت قيمتها البحثية بشكل كامل، ومن ثم وجب المحافظة عليها بشكل محكم وحفظها بصورة دائمة أبدية.

ومن خلال تحليل الاتجاهات السابقة لتحديد ماهية الأرشيف وطبيعته نستطيع أن نبتين التضارب الحادث في مفهوم كلمة الأرشيف، والنقص الذي يعتريها، فتارة يُعرف الأرشيف بالوثائق الجارية أو بالمحفوظات المؤقتة مراعيًا بذلك للقيم الإدارية التي أنتجت من أجلها

---

(1)The Encyclopedia Americana, art, Archives.-N.Y, 1976.

(٢) جمال الخولي: الوثائق الإدارية بين النظرية والتطبيق – القاهرة: الدار المصرية اللبنانية، ١٩٩٣، ص ٥٠.

(3) Oxford English Dictionary, art, Archives.

متجاهلاً قيمًا أخرى بحثية وتاريخية قد تنشأ بمرور الزمن ولم تكن في ذهن منتجها، وتارة أخرى يُعرف بالوثائق التاريخية، وهنا أيضًا إغفال لعنصر القيمة، فليست كل الأوراق التاريخية لها من القيمة ما يبرر وجودها أو استمرارها في الحياة، كما أن الحكم على الوثائق منذ وقت إنشائها بأنها تاريخية يعد أمر صعب، ويلغي معه أيضًا أى قيمة أخرى غير تاريخية مثل القيم الإثباتية والإدارية والقانونية التي أنشئت من أجلها، فالوثائق يجب أن تكون قد أنتجت أو جمعت لتحقيق غرض معين. كما أغفلت الاتجاهات السابقة أيضا في تعريفها للأرشيف وثائق الأفراد والكيانات الخاصة، واعتمدت فقط على أن الأرشيف هو نتاج أى مصلحة رسمية أو حكومية من الوثائق، بالإضافة إلى أن تعريف الاتجاه الثاني والثالث قد خلا من كافة أشكال مواد الوثائق كالخرائط، والرسومات الهندسية، والصور، والتسجيلات الصوتية، والوثائق المقروءة آليًا وغيرها من أنواع غير تقليدية.

ولا ينبغي أن نغادر هذا الموضوع دون الإشارة إلى وقوع تضارب آخر في معني كلمة أرشيف، ويرجع هذا التضارب إلى استخدام نفس الكلمة للدلالة على معنيين بينهما صلة كبيرة، وأعنى بذلك استخدام الكلمة للدلالة على كل من الوثائق التاريخية ذاتها، وعلى المكان الذي تحفظ فيه هذه الوثائق، فحين نسمع كلمة "أرشيف" لا ندري أيهما المقصود: الوثائق أم المكان؟ لولا الاجتهاد في فهم المقصد من سياق الكلام، حيث نجد بعض القواميس اللغوية مثل قاموس "أكسفورد" يعرف كلمة أرشيف بأنها "مكان تحفظ فيه الوثائق العامة أو المستندات التاريخية الهامة"[(١)]، وقاموس "وبستر" يعرفها "بالمكان الحكومي الأول الذي تحفظ فيه التقارير الرسمية والوثائق والمستندات التاريخية"[(٢)]. ولم تخل كتابات المتخصصين من مثل هذا التضارب، فالأمريكي "لفيت" يقول "وعلى الرغم من الاستعمال المحدد لكلمة أرشيف في الميراث العام للغة الإنجليزية، فإننا نجدها تستخدم للدلالة على كل من المكان الذي تحفظ فيه المستندات وعلى المستندات نفسها"[(٣)]، أما الإنجليزي "كوك" يقول "يحفظ الأرشيف في مباني، وحسب ما ورد في القاموس، فإن هذه المباني تسمي أيضًا الأرشيف"[(٤)].

---

(1)Webster's International Dictionary, art, Archives.
(2)Leavitt Arthur-What are archives?.- American Archivists, Vol. 24 (April 1961) p. 177.
(3)Cook, Michael- Archives administration, a manual For intermediate and smaller organization and for local government . – England: Dawson, 1977, p.2.
(٤)المعجم الوسيط، مادة صوت.

وبناءً على ما سبق تقدم الدراسة التي بين أيدينا تعريفًا إجرائيًا لكلمة أرشيف يحقق تأصيلاً لمفهوم الكلمة من جهة ويفي بأغراض الدراسة الحالية من جهة أخرى، فالأرشيف هو: "مجموع الأوراق، والخرائط، والمصورات، والتسجيلات الصوتية، والمواد المرئية أو المقروءة آليًا، أو أى مواد توثيقية أخرى بصرف النظر عن شكلها المادي أو خصائصها، والتي أنشئها أثناء ممارسة نشاطه كل شخص طبيعي أو معنوي، وكل مرفق عمومي أو هيئة عامة أو خاصة، مهما كان تاريخ هذه الوثائق، وتقرر حفظها حفظًا دائمًا بعد تقييمها لتكون دليلاً وشاهدًا على الأعمال والنشاطات التي أنتجتها، وأيضًا لتشكل جزءًا من تراث الأمة وذاكراتها لما تشتمل عليه من قيم تجعلها جديرة بالحفظ الدائم داخل دار الوثائق القومية، وتخضع في هذه الدار للتشريعات التي تكفل حفظها وحمايتها الحماية القانونية والأرشيفية من أى إتلاف، أو سرقة، أو تسرب، أو تحقيق، أو نشر غير علمي، أو أي تصرف غير قانوني".

الشق الثاني "الصوت":

قدمت معظم المعاجم والكتب العلمية المتخصصة لكلمة "الصوت –Sound" معنيين واضحين؛ هما: المعنى الفيزيائي والمعنى البيولوجي، وذلك كما يلي:ـ

أولاً: المعني الفيزيائي: الصوت "هو تردد آلي، أو موجة قادرة على التحرك في عدة أوساط مادية مثل الأجسام الصلبة، والسوائل، والغازات، ولا تنتشر في الفراغ، وباستطاعة الكائن الحي تحسسه عن طريق عضو خاص يسمي الأذن"[(١)].

وأيضا هو: "الطاقة التي تصل إلى الأذن من الخارج"[(٢)]، هذه الطاقة يستمر انتشارها حتى في حالة عدم وجود أذن لتمييزها، وتنتج هذه الطاقة من خلال جسم اهتزازي ملامس لوسط مادي له القدرة على إمرار هذه الطاقة الاهتزازية إلى الأذن، فالأوتار الموسيقية، والطبول والأجراس، وآلات النفخ، والبشر، والطيور، والحيوانات، والطبيعة من أمواج ورياح وعواصف... إلخ كلها؛ مصادر أو أجسام اهتزازية، كما يمثل الوسط المادي المحيط

(١) صطفى عبد المطلب إبراهيم – الصوت والضوضاء. – القاهرة، ١٩٩٣، ص ١٣.
(٢) المرجع السابق نفسه، ص ١٤.

بنا (من غازات، وسوائل، ومواد صلبة) جسيمات لها كثافة ومرونة معينة على نقل الاهتزازات الصوتية إلى مسافة معينة حتى تضحل.

ثانيًا: المعني البيولوجي: الصوت هو: "الإحساس السمعي"[1]، فالإنسان لا يسمع كل الأصوات التي تلتقطها الأذن، وإنما يسمع بعضها التي تلتقطها الأعصاب السمعية في الأذن الداخلية، وترسلها إلى مركز الفهم والكلام في المخ، وكل صوت نسمعه له تأثير من خلال المعلومات التي يحملها، ويوحي بإحساس معين.

وفي حقيقة الأمر لا تتبني الدراسة الحالية أي من التعريفين السابقين، ولا تحاول البحث في طريقة حدوث الصوت فيزيائيًا أو ميكانيكيًا، أو حتى بيولوجيًا، ولا تنظر إلى جميع الأصوات على اختلاف مصادرها، ووسائلها، وإنما تنظر إلى الصوت البشري دون سواه من الأصوات الأخرى المتمثل في الترجمة النطقية للرسالة اللغوية التي يود المتكلم توصيلها إلى السامعين، ومن ثم تتبني الدراسة تعريفًا إجرائيًا للصوت على النحو التالي: "الصوت إشارة أو طاقة تحتوي على نغمة أو عدة نغمات تصدر من جهاز نطق الإنسان تتمثل في كلمات مفهومة المعني ومتفق عليها في اللغة الواحدة، وتستعمل كوسيلة اتصال بين هذا الإنسان وبين كائن آخر من جنسه يعبر من خلالها عما يريد قوله أو فعله".

وفى النهاية نعني بالأرشيف الصوتي من وجهة نظر الدراسة بأنه "ذلك الجزء المنتقي من الوثائق المنطوقة – أي كان شكلها – والتي قام أصحابها من الأفراد والجهات والمؤسسات ذات المجالات المختلفة سواء كانت رسمية أو غير رسمية بإعدادها وإنتاجها وتلقيها وتسجيلها نتيجة لطبيعة أعمالهم، وممارساتهم وتصريحاتهم وتعليقاتهم علي الأحداث والمواقف، وأخبارهم وخطبهم ومؤتمراتهم ولقائاتهم، واجتماعاتهم، وغيرها من الأعمال والممارسات ذات الطابع الشفاهي المنطوق، والتي ثبتت قيمتها المعلوماتية والبحثية والتاريخية بشكل يلزم حفظها حفظا أرشيفيا بدار الوثائق القومية حتى نضمن بقائها علي الدوام باعتبارها دليلا وشاهدا حيا علي تلك الأعمال والأحداث وتراثا أرشيفيا هاما للدولة وللأجيال القادمة".

---

(١) لمزيد من التفاصيل انظر: محمود فهمي حجازي – أسس علم اللغة العربية. ـ القاهرة: دار الثقافة، ١٩٧٨، ص ٧ـ٨.

٢ـ اللغة المنطوقة / الكلام المنطوق:

اختلف الباحثون القدامى والمحدثون في تعريف اللغة، وتحديد مفهومها.[١]

فاللغة بمفهومها العام هي: "وسيلة للتفاهم والتواصل والتعبير عن العواطف والأفكار عامة، لا يحدد مدلولها بالكلمات والعبارات التي تصطلح على معانيها أو دلالتها أمة من الأمم أو مجتمع من المجتمعات، إذا أنها في الحقيقة تشتمل على كل ما يمكن أن يعبر به الإنسان عن فكرة أو انفعال أو موقف أو رغبة معينة، فالصورة لغة، والأشكال المرسومة لغة، والأجسام والحركات الجسمية لغة، والإشارات البصرية والصوتية أو السمعية لغة، وما إلى ذلك مما يمكن الاتفاق على دلالته على معني معين"[٢].

أما مفهوم اللغة المنطوقة بوجه خاص كما قدمه اللغويين فيعني: "مجموعة الأصوات أو المقاطع الصوتية التي ينتجها جهاز النطق فتتكون منها الكلمات، والكلمات تركب في صيغ وعبارات وفق الأصول النحوية المقبولة والمتفق عليها في اللغة الواحدة؛ لتكون جملاً توضع في سياقات خاصة مناسبة للموقف الذهني أو الشعوري للمتكلم، فهذه ما تسمي بلغة الكلام"[٣]. وبإمعان النظر في هذا المفهوم للغة المنطوقة نتبين أنها في طبيعتها تتمثل في نسق متفق أو متعارف عليه بين أفراد ما يطلق عليهم الجماعة الناطقة بلغة ماوتدخل في تكوين هذا النسق في العادة وحدات أو أنساق أخرى متفرعة يرتبط بعضها بالبعض الآخر، وهذه الوحدات أو الأنساق المتفرعة؛ هي:

- **النسق الصوتي:** وهو الذي يحدد نطق الكلمات أو أجزاء الكلمات وفق الأنماط المقبولة أو المتعارف عليها لدي الجماعة الناطقة بلغة ما.

- **النسق الدلالي:** ويعني ترتيب الوحدات المعنوية وفق سماتها الدلالية المعروفة أو المقبولة في اللغة.

---

(١) أحمد محمد المعتوق – الحصيلة اللغوية: أهميتها، مصادرها، وسائل تنميتها (سلسلة دار المعرفة؛ ٢١٢). – الكويت: المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، أغسطس ١٩٩٦، ص ٤٢.

(٢) كمال بشر – علم اللغة العام، القسم الثاني: الأصوات اللغوية. – القاهرة: دار المعارف ١٩٧٥، ص٥٨.

(٣) أحمد محمد المعتوق، مرجع سابق، ص ٣٤.

- **النسق الإعرابي أو النحوي**: ويعني ترتيب كلمات الجملة أو الجمل في أشكالها المقررة في اللغة.

- **النسق الصرفي**: وهو الذي تعالج فيه أو من خلاله بنيات الكلمات، وأنواعها، وتصريفاتها، أو اشتقاقاتها.

- **النسق المعجمي**: ويقصد به مجموع المفردات اللغوية المتاحة للتعبير عن المعاني والمواقف المختلفة في إطار اللغة.

ومن ثم فإن اللغة المنطوقة لا تتكون من أصوات منعزلة منفردة، فتصبح رموزًا مبهمة، فقيمة الأصوات تكمن في وجودها كمجموعات أي في الكلمات التي تتكون منها، وعلي هذا فقد فرق اللغويون والنحاة بين "الكلمة" و "اللفظ"، فقد ربط النحاة بين اللفظ وبين عملية النطق وإصدار الأصوات من مخارجها الطبيعية وما يستلزم ذلك من حركات اللسان والشفتين دون الارتباط بمعني، وبذلك فاللفظ عندهم مجموع من الأصوات المنطوقة، أما إذا ارتبطت هذه المجموعة من الأصوات بمعني محدد فقد أصبحت كلمة، وبناءً على هذا فإن الكلمة تعني اللفظ الدال على معني.

ولا يعنينا هنا تتبع الاختلافات في تعريف اللغة أو مناقشة أسس هذا الاختلاف؛ وإنما الذي يهمنا أساسًا هو الوقوف على تقديم تعريف إجرائي للغة المنطوقة بوجه خاص يعكس طبيعة أبعادها ودلالاتها المستخدمة في هذه الدراسة

ودراستنا الحالية سوف تحاول جاهدة أن تتناول الكلام المنطوق من زاوية معينة، وهي زاوية الأداء، أو الجانب التطبيقي منه وفنيته، ودوره وسماته، وقد فضلت الدراسة مصطلح "الكلام المنطوق" على مصطلح "اللغة المنطوقة"، حتى لا يظن أننا سوف نشغل أنفسنا هنا بتقديم أو عرض قواعد اللغة وضوابطها المتعارف عليها والمقررة بين جملة اللغويين الذين يفرقون تفريقًا حاسمًا بينها وبين النشاط الفعلي المتمثل في الأصوات المنطوقة بالفعل من المتكلم المعين في الموقف المعين، ولكن قد نتجاوز أحيانًا ونستخدم مصطلح "لغة"، ونعني به الكلام.

وعلى هذا نعني بمفهوم الكلام المنطوق من وجهة نظر الدراسة بأنه : "القدرة لدي الناس على التفاهم عن طريق علامات صوتية، ولهذه العلامات والوحدات الصوتية خواص سمعية وعضوية، ودلالات معنوية، وسمات إيحائية، وكفاءات خاصة يتمكن الناطق بها من أداء غرض محدد أو يعبر عن موقف معين" .

وفي النهاية نوضح أن الدراسة ستستخدم كل من مفهوم الصوت والكلام المنطوق/ اللغة المنطوقة بمعنى واحد.